ظل

لا شيء يجعلني أشعر بالخوف في الصباح ولا حتى في الليل عدا هذا اليوم، كيف لي أن أستيقظ لأجد أحدهم في فراشي لم أبالي لأنني أدركت بعدها أنني مصابة بالحمى.. وبحاجة لقهوة تلفح رائحتها رأسي لأستفيق..وبينما أعدها همس في أذني صوت عذب بأنفاس باردة تشبه الطقس بالخارج، " أنا ظلك على الأرض"..

لم أهتز للحظة لأنني أعاني من السخونة وهلوساتها تركت له المنزل وذهبت إلى حيث لا أدري..وبينما أسير على الطريق أوقفت بائع الفطائر ثم سألته.. ترى أين يسير الظل بالعادة؟؟!! أجابني يسير خلفك دائما..وذهب وهو يضحك بينما ظلي بجانبي وليس خلفي!

وربما من الجنون أن أكون وحيدة هكذا..لا لست وحيدة تمامًا ولا مع أحد..ولكن مواعدة ظل على فنجان قهوة، في مقهى عام شيء مثير للشفقة وربما للبكاء،كنت دائمًا أشعر أن الريح تعبر جسدي وتستقر في أحشاء المرآة المعلقة على الجدار هناك،كما أنني وللمرة الأولى أرى ظلا بربطة عنق..حتمًا سأفكر بنهاية سعيدة حتى لا يبدو علي عندما أخرج من هذا المقهى أنني مت منتحرة!!

كنت دائما أصغي للدخان المتصاعد من فناجين الآخرين، وهو يسرد عذابات البن والبقايا..ولم أستطع للحظة أن أصغي إلى فنجاني، كنت أحرك قهوتي ببطيء.

بينما الأشياء تتحرك مسرعة من حولي..بيوت أخرى تنمو داخل البيوت وترحل دون أن أكتشف من هم ساكنيها..

ما من شيء يحرض على التأمل سوى البخار المتصاعد من الفنجان وسواد الظل،انتظرت كثيرًا أن تعبر الشمس الفناجين لتدب الحياة في ظلي لأرتشف منه بعض الغموض..

في الليل أرتدي ورقة مليئة بالأحجيات وأفتش بالقبور عن البوح المدفون وأتساءل إلى أين ستحملني المعابر؟

وأزرع في وريد الذكرى نسيان هائل لأرقص على نبضي وأنصح ظلي دومًا أن يكن صبورا ليمنحنا الوقت عودة لأنفسنا.. ولكن خطيئتنا أننا نصدق المحال الذي لا يأت ونزرع في القلب ما يزهر قبل موسم اللقاء فيذبل عند منحدرات الغياب وعند أول ندبة حنين تسقط جميع الأوراق...أنا لا أعرف ما الذي أود أن أقوله الآن..

ولكن حتمًا سينسى العابرون هذا الدرب!!! من سيقف في النافذة مرة أخرى،الليل أم الذكرى؟؟

لا هذا ولا ذاك ربما سيقف هناك ظل عابر لم يكمل طريقه بعد.. وللحظة تذكرت أنني قررت يوما أن أتركه وشأنه(ظلي)، ولكن حتى الآن لازلت مدمنة النظر إليه!!

أشياء كثيرة تطاردني في طريقي إلى ذاتي وتقودني إلى غيابي..شيئا ما كان يشبه الموسيقى الأخيرة في مناماتي.. ظل يرقص بلا أقدام مع عصفور بلا أجنحة.

ورجل غريب يهديني زهورا سوداء بينما يرتدي معطفا أبيضا من الثلج.. يجب علي أن أستيقظ هذا لو كنت حقا نائمة.